في مجرد الطباع كفاية تحل شبهة البدعة ما لم يتعلم فينبغي ان يكون التدريس
فيه ايضًا من فروض الكفايات لكن ليس من الصواب تدريسه على العوام كتدريس
الفقه والتفسير فان هذا مثل الدواء والفقه مثل الغذاء وضرر الغذاء لا يحذر
وضرر الدواء محذور فان قيل قد جعل جماعة التوحيد عبارة عن صناعة الكلام
ومعرفة طريق المجادلة والاحاطة بمناقضات الخصوم والقدرة على التشدق
فيها بتكثير الاسئلة واثارة الشبهات وتأليف الالزامات حتى لقب طوائف
منهم انفسهم باهل العدل والتوحيد فاعلم ان التوحيد عبارة عن امر
اخر لا يفهمه اكثر المتكلمين وان فهموه لم يتصفوا به وهو ان يرى الامور كلها
من الله رؤية تقطع الالتفات الى الاسباب والوسائط فلا يرى الخير والشر
الا منه تعالى وهذا مقام شريف فالتوحيد جوهر نفيس له قشران
احدهما ابعد عن اللب من الاخر وهو ان تقول بلسانك لا اله الا الله وهذا يسمى
توحيدا مناقضا للتثليث الذي يصرح به النصارى لكنه قد يصدر من المنافق
الذي يخالف سره جهره واما القشر الثاني ان لا يكون في القلب مخالفة وانكارا
لمفهوم هذا القول بل يشتمل ظاهر القلب على اعتقاده والتصديق به وهو
توحيد عوام الخلق والمتكلمون كما سبق حراس هذا القشر عن تشويش المبتدعة
فخصص الناس الاسم بهذين القشرين وتركوا لبابهما واهملوه بالكلية واللباب
هو التوحيد المحض وهو ان يرى الامور كلها من الله تعالى رؤية تقطع الالتفات
الى الاسباب والوسائط وان تعبده عبادة تفرده بها فلا يعبد غيره واتباع
الهوى يخرج عن هذا التوحيد وكل متبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده قال
الله تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه وقال صلى الله عليه وسلم ابغض
اله عبد في الارض عند الله هو الهوى وعلى التحقيق من تامل عرف ان عابد
الصنم انما يعبد هواه اذ نفسه مائلة الى دين ابائه فيتبع ذلك الميل وميل
النفس الى المالوفات احد المعاني التي يعبر عنها بالهوى ويخرج من هذا

اي يعبد الصنم

التوحيد

١٢

التوحيد التسخط على الخلق والالتفات اليهم فان من يرى الكل من الله تعالى كيف
يتسخط على غيره فالتوحيد عبارة عن هذا المقام وهو من مقامات الصديقين
فانظر الى ماذا اخل وباي قشر قنع فالموحد هو الذي لا يرى الا الواحد ولا يتوجه
وجهه الا اليه اي وجه قلبه متوجها الى الله تعالى على الخصوص انتهى وقد تكلمت
على هذا المقام في كتاب الجوهر الفريد في علم التوحيد بكلام يشفي النفس ويزيل
اللبس وهو كلام طويل مشبع جمعت فيه اقوال غالب الصحابة والعلماء رضي الله عنهم
فليراجع وهو في الجزء الثامن في الباب الخامس من كتاب التوحيد فليراجع
واعلم انه قد تقدم ان تعلم النجوم مذموم فنقول قد روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال اذا ذكر القدر فامسكوا واذا ذكر اصحابي فامسكوا
واذا ذكر النجوم فامسكوا وقال صلى الله عليه وسلم اخاف على امتي بعدي
ثلاثا حيف الائمة وايمانا بالنجوم وتكذيبا بالقدر وقال عمر ابن الخطاب
رضي الله عنه تعلموا من النجوم ما تهتدوا به في البر والبحر ثم امسكوا وانما زجر
عنه من ثلاثة اوجه احدها انه مضر باكثر الخلق فانه اذا القي اليهم ان هذه
الاثار تحدث عقب سير الكواكب وقع في نفوسهم ان الكواكب هي المؤثرة وانها
الالهة المدبرة لانها جواهر شريفة سماوية يعظم وقعها في القلوب فيبقى
القلب ملتفتا اليها ويرى الشر والخير محذورا او مرجوا من جهتها وينمحي
ذكر الله تعالى من القلب فان الضعيف يقصر نظره على الوسائط والعالم
الراسخ هو الذي يطلع على ان الشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره تعالى
الوجه الثاني ان احكام النجوم تخمين محض ليس يدرك في حق احاد
الاشخاص لا يقينا ولا ظنا فالحكم به حكم بجهل فيكون ذمه على هذا من حيث
انه جهل لا من حيث انه علم وقد كان ذلك علما لادريس عليه السلام فيما يحكى
وقد اندرس ذلك العلم وانمحق وما يتفق من اصابة ذلك المنجم على ندور
فهو اتفاق لانه قد يطلع على بعض الاسباب ولا يحصل المسبب عقبها الا بعد

نفوسهم

وقد علمت ان الشيخ المؤلف رحمه الله ونفعنا به
له كتاب سماه الجوهر الفريد في علم
التوحيد وقد تطلبته كثيرا فلم اجده
فلعل الله ببركة مؤلفه نظفر به

Copyright © King Saud University